

Translations | ترجمات

فلسفة الدين^(١)

Philosophy of Religion

أنطوان فيرغوت^(٢) | Antoine Vergote
ترجمة:

بوزيدي نعيم^(٣) | Bouzidi Naim

بوجاوي ناصر الدين^(٤) | Boudjaoui Nacer-Eddine

(1) Vergote Antoine. La philosophie de la religion. In: Revue Philosophique de Louvain. Troisième série, tome 68, n°99, 1970. pp. 385-393.

DOI : <https://doi.org/10.3406/phlou.1970.5563>
www.persee.fr/doc/phlou_0035-3841_1970_num_68_99_5563

(2) أنطوان فيرغوت 1913-1921 Antoine Vergote هو لاهوتي وعالم نفس وفيلسوف بلجيكي، وقسيس في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية Eglise catholique romaine. شغل أيضا منصب أستاذ في الجامعة الكاثوليكية لوفن Katholieke Universiteit Leuven، واشتهر بإسهاماته في «Colloques Castellii» التي نشر فيما بعد في دار النشر Aubier، كما عُرف بعدة كتب تعالج العلاقات بين الإيمان المسيحي والتحليل النفسي. فقد كان أنطوان فيرغوت تلميذاً لجالك لakan، وكان فيرغوت الفضل في إدخال التحليل النفسي إلى جامعة لوفن الكاثوليكية université catholique de Louvain وأسس المدرسة البلجيكية للتحليل النفسي مع كل من Alphonse de Waelhens Jacques Schotte.

- ذكر من مؤلفاته:
- علم النفسيين الدين (1971) Charles Dessart, Psychologie religieuse'
 - تأويل اللغة الدينية (1974) Interprétation du langage religieux (éd. du Seuil)
 - الحداثة والمسيحية Modernité et christianisme (éd. du Cerf 1999)
 - إنسانية الإنسان وإلهية الله (2007) Humanité de l'homme, divinité de Dieu

(3) باحث جامعي متخصص في المنطق وفلسفة العلوم- جامعة الجزائر البريد الإلكتروني: naim.bouzidi@univ-alger.dz

(4) باحث جامعي متخصص في الفلسفة الغربية في المدرسة العليا-الجزائر البريد الإلكتروني: boudjaouinacereddinephilo@gmail.com

لقد اختربنا أن نجمع العناصر التي أحدثت تحولاً في الفكر الفلسفي المتعلق بموضوع الله والدين، عوضاً أن نعرض بطريقةٍ مختصرةً جدولاً لأطاراتٍ عدّة مفكرين. ونقتربُ تقسيم مجال فلسفة الدين إلى حيزين للتفكير يحدان قسمين هذان البحث. الأول يصنف ضمن التراث الديني والأنطولوجي. إذ تعتبر فكرة الله أو المطلق إرث ثقافيٌ للإنسانية بالنسبة للحضور الأصيل للديانات وكذلك بالنسبة لتاريخ الفلسفة الغربية. فقد قبلت هذه الفكرة في مسعاه لأن تؤلف خطابها العقلاني أولًا بلوغوبيس الواحد^(٥)، الأبدي، وبالميتا-فيزيقا التي اقترحها الخطاب الديني عليها.

ما يهمّنا هنا هو أن نرى كيف أن فكرة المطلق قد أثر فيها كلُّ من التطور الداخلي للبحث الأنطولوجي وكذا التحري العلمي للأديان. أما الحيز الثاني الذي يضم مجموع علوم الإنسان فقد أثرت [علومه هاته] بعمق، بفضل ازدهارها في الأزمنة الحديثة، على الفكر الديني، سواء بمرارتها النقدية

(٥) الواحد المقصود به هنا فكرةً أفلوطيّةً (نسبة إلى أفلوطين Platon باليونانية Πλάτων)؛ إذ يتبنّى أفلوطين التقسيم الأفلاطوني (نسبة إلى أفلاطون Platon باليونانية Πλάτων) الذي ينطّق بلاتون πλάτων/plá.tōn للعالم إلى عالم حسيٍّ وعالم عقليٍّ (أو غير مادي). ويقتسم أفلوطين هذا الأخير إلى ثلاثة أقانيم Hypostases:

- الواحد أو الخبر (en) وهو ما هو "الدونامييس" أو إمكانية وجود. ومنه طافت أو انبعث [فاضت] المستويات الأخرى.
- النous (le Nous، νοῦς) الذي يترجم في بعض الكتابات بالعقل وقد يماثل الله. هو أقنوم يفكر نفسه بنفسه. وعملية تفكير النous هي أسمى نشاطات الحياة؛ وإدراكُ هذا التفكير يولد الأشكال. وهذا العقل سببُ الوجود. وقد سبّقه "الواحد". ليس بمعنى أن الواحد خلقه، بل إن النous فاض عنده: فالواحد علة النous.
- النفس (Psuche/Ψυχή) وهي مسؤولة عن إدراك أفكارها بذاتها كما تقوم بخلق كون مادي هو صورة حيةٌ للكون الروحاني والعقلي باعتباره فكرةً موحدةً ضمن العقل. وبالتالي، النفس هي من يدرك الأمور المادية ويجولها إلى الأفكار التي تعتبرها حقيقةً. أسفل هذا جميعه المادة. كلُّ هذا التفسير كان تعليقاً لأعمال أفلاطون وخاصةً أنَّ المعرفة الإنسانية تأتي من حياة سابقة مع وجود تأثير بأفكار أرسطو وبخاصة مفهوم "المحرك اللامتحرك". وحدد آباءً معتقدً أفلاطون اللاحقين ثلاثة تجليات للنous. ومن أهم من تناول الموضوع كان فرفوريوس الصوري Porphyre de Tyr وبرقلس Proclus de Lycie.

من البديهي أن التقسيم الذي ارتأيناه لا يفترض مُسبقاً التأثيرات المتبادلة التي حصلت في هذا المجال المعقّد الذي يسقى الإنسان فيه أن يفكّر المبدأ والمعنى الأقصى لوجوده. [كما أنه] ليس في مُكننة أيٍّ مفكِّرٍ معاصرٍ أن يغضّن الطرف عن التجديّدات العميقية للأنطولوجيا. عن التأملات حول تاريخ الفلسفه أو تطورات الهرمينوطيقا^(٦) والعلوم الإنسانية، ولا حتى عن تأثير النزعه الإنسانية الملحدة.

(٦) الهرمينوطيقاً فن يختص بالتأويل في مجالات مختلفة، وهي فن يرمي إلى أن نفهم، وأن نجعل أنفسنا مفهومين، تاهيك أنها تذهب أبعد من مجرد التحليل المنطقي والقوانين التأويلية العامة. استعمل المصطلح كثيراً ومن أبرز الاستعمالات نجدها في أحد أعمال يوهان كونراد دانهاور (١٧١٣-١٧٥٣) Johan. Conrado Dannhawero باللغة اللاتينية تحت عنوان (الهرمينوطيقا المقدسة أو منهج شرح النصوص المقدسة) Hermenevтика Sacra. Literarum Methodus exponentarum S. sive. دانهاور في أول صفحة من كتابه إلى مؤلف آخر هو بارباروس Moscovitas Barbaros Moscovitas وكتابه عن الهرمينوطيقا (I.Dannhawero.MDCLIV,P).

شكل عمل دانهاور نقطة تحول في الفهم اللاهوتي بين مفهري النصوص المقدسة؛ ذلك أن عمله يتضمن بصورة أوالية منصر التمييز بين منهجي الهرمينوطيقا التحليلية والمنطق التحليلي. يطبق هذا التمييز في الهرمينوطيقا المقدسة Sacra Hermenevтика للكتاب المقدس بوصفها نموذجاً لكل النصوص الأخرى. تميز الهرمينوطيقا المقدسة بين السؤال المتعلق بالمقصود من معنى النصوص المقدسة والسؤال عن وجوده الحقيقي أو الزائف. إن قارئ الكتاب المقدس يجب أن يقرّر عبر التفسيرات ماذا كانقصد المؤلف؟ وعبر البحث المنطقي والتحليل أو عبر الثقة في الروح المقدس باعتباره مؤلف الكتاب المقدس. إن المشكلة الهرمينوطيقيّة الأولى تكمن في الظروف التي تحيط بالقارئ والمستمع وفي الوضع الذي يسمح بهم المقصود التاريخي الموسى به في الكتاب المقدس. تخدم الدراسات الفيلولوجية والتاريخية لكتاب المقدس بدقة الفهم التاريخي لموقف الكاتب. يشمل هذا تحديد عواطف المؤلف ووقت الكتابة. إن الهدف النهائي هو تيسير فهم الذات وليس فقط النص، لكنها تتيح أيضاً فهماً للموقف التاريخي للمؤلف الإنساني (Shantz.Douglas H.,2015,P.24-25).

[المملحة] أو بالإمكانيات الجديدة التي اقترحتها عليه. وفي الأخير سنأتي، على سبيل الخاتمة، إلى التفكير في أساس النزعه الإنسانية^(٧)، ففيه تجلّي بوضوح أكثر الخلافات بين مختلف أصناف الفلسفات.

(٦) النزعه الإنسانية أو الإنسانوية Humanisme هي مجموعة من وجهات النظر الفلسفية والأخلاقية التي تركز على قيمة وكفاءة الإنسان، سواء كان فرداً أو جماعةً، وتميّز هذه النزعه عموماً بالتفكير والاستدلال (العقلانية، التجريبية) أثناء بناءها المذاهبت أو العقائد الشائبة أو المنزلة (الإيمانية). من الجدير باللاحظة أن تتوج معانى هذا المصطلح جعله غامضاً، فقد كان هناك التباس مستمر باستخدام هذا المصطلح: لأن حركات فكرية مختلفة كانت قد عزفت نفسها باستخدامه عبر الزمن. وتشير الإنسانية في الفلسفة والعلوم الاجتماعية إلى اتجاه يؤكد بشكل خاص على فكرة "الطبيعة البشرية". وتؤمن النزعه الإنسانية بقدرة الإنسان على تدبر نفسه ومجتمعه انطلاقاً من ملكاته النظرية والعملية وهذا يرفع الإنسان إلى مصدر للتشريع الذاتي في مختلف أصعدة الحياة مما يجعل النزعه الإنسانية نظرة تقدمية تفاؤلية للإنسان. وقد أصبح العديد من الحركات الإنسانية في العصر الحديث منحازة بقوه إلى العلمانية. وأصبح مصطلح الإنسانية يستعمل عادةً مرادفاً للعقائد غير التوحيدية فيما يتعلق بأفكار مثل المعنى والهدف. ومع ذلك فقد كان الإنسانيون الأوائل متدينين. مثل أولريش فون هوتن الذي كان مؤيداً قوياً لمارتن لوثر والإصلاح البروتستانتي. وقبل أن يرتقي المصطلح بالعلمانية، استخدمه المؤرخ الألماني والعالم اللغوي جورج فوويت عام ١٨٥١ لوصف الحركة التي ازدهرت لإحياء التعلم الكلاسيكي خلال النهضة الإيطالية. وقد لاقى هذا التعريف قبولاً واسعاً. حاولت الحركات الإنسانية أثناء فترة عصر النهضة في أوروبا الغربية إظهار فائدة اكتساب التعلم من مصادر كلاسيكية تعود لما قبل المسيحية لغایات العلمانية مثل العلوم السياسية والخطابة. كلمة "إنساني" Humanist مشتقة من المصطلح الإيطالي umanista العائد للقرن ١٥ ويعني المعلم أو الباحث العلمي في الأدب اليوناني واللاتيني الكلاسيكي والفللسفة الأخلاقية وراءهما، بما في ذلك النهج إلى العلوم الإنسانية. خلال الثورة الفرنسية، وبعدها بقليل في ألمانيا (بفضل الهيجلينيين اليساريين). بدأ مصطلح الإنسانية يشير إلى الفلسفات والأخلاقيات التي ترتبط بالإنسان، دون الاهتمام بأية مقاهيم إلهية، وقد تطورت الإنسانية الدينية بوصفها منظمات دينية أكثر ليبرالية تهتم بشكل أكبر بالاتجاهات الإنسانية. تدمج الإنسانية الدينية الفللسفة الأخلاقية مع طقوس ومعتقدات بعض الديانات، رغم أنها تبقى متمركزة حول الاحتياجات والاهتمامات والقدرات الإنسانية.

تمثل النزعة التي دشنها توما الأكويني^(٨) بطريقية علمية الرابطة بين إله الدين التوحيدى الك资料ي والفكير الميتافيزيقي المُستأنف من الإغريق مع تمييز كلٍّ مِنْهُمَا وفق منطقه الخاص. هذه النزعة تفحص العلاقات البنوية بين الموجودات العرضية (التي لذلك لا تعرف كيف تعي وجودها بنفيها) والوجود الذي يكُونُها كليًّا. تعرّف هاته التيارات الأساسية في الوجود المكون والمبدأ الآخر للموجودات على أصلٍ وعلةٍ قصوبيين، علّمَها التقليد الكـتابـي أن تطلق عليهما اسم الله. وتجرؤ الإشارة أن هذه الفلسفـة على كونـها تدخل ضمن تقليـد قديـم غير أنـها تتجـدد وتنـوـعـ. من جهة، بفضل الدراسـات التـارـيخـية المـعمـقة لأصولـها، ومن جهة أخرى بالـواجهـة المـذـهـبـية لـلـفـلـسـفـاتـ الجـديـدة (المـثـالـيـة

(٨) القديس توما الأكويني Thomas d'Aquin (Tommaso d'Aquino) (1225-1274) (بالإيطالية: Aquino d'Aquila) قسيس وقديس كاثوليكي إيطالي من الرهبانية الدومينيكانية، وفيلسوف ولاهوتي مؤثر ضمن تقليد الفلسفة المدرسيّة. أحد معلمي الكنيسة الثلاثة والثلاثين. ويعرف بالعالم الملائكي (Doctor Angelicus) والعالم المحيط (Doctor Universalis). عادةً ما يشار إليه باسم توما الأكويني نسبة إلى محل إقامته في أكوان، كان أحد الشخصيات المؤثرة في مذهب اللاهوت الطبيعي، وهو أبو المدرسة التوماوية في الفلسفة اللاهوتية؛ تأثيره واسع على الفلسفة الغربية. وكثير من أفكار الفلسفة الغربية الحديثة إما ثورة ضد أفكاره أو اتفاق معها، خصوصاً في مسائل الأخلاق والقانون الطبيعي ونظرية السياسة. وعلى نحو الإجمال، فالقديس توما الأكويني أول من ميز بين اللاهوت الطبيعي (theologia) وبين اللاهوتي المنزّل أو لاهوت الوجه (naturalis sacra) (doctrina sacra)، وهو ينقض عقليّة الإيمان عن طريق العقل الطبيعي وهذا باستناده على فلسفة أرسطو، وهناك بعض الدراسات المعاصرة التي ترى أن توما الأكويني هو لاهوت بالدرجة الأولى.

Étienne Gilson, Le thomisme, Vrin, p. 414-419, sur-
انظر: tout la note 26 de la page 419

الميتافيزيقا، الأنطولوجيا، التقاليـد الدينـية

الأنطولوجيا: الاستمرار، التحول، الاعـراض

ما بـرحت الدواـئـر الفـلـسـفـية العـدـيدـة عن تـقـصـي مـسـأـلة الـوـجـود (الـأـنـطـوـلـوـجـيـ) بـوـصـفـها المسـأـلة الأـكـثـر أـسـاسـيـة ولـكـونـها [أـيـضاـ] في مـسـتـوىـ الفـكـرـ البـشـريـ. فـهيـ تـقـضـيـ أـنـهـ مـنـ طـبـيـعـةـ إـلـيـسـانـ التـسـاؤـلـ عنـ وـجـودـهـ، وـأـنـ هـذـاـ التـسـاؤـلـ يـنـفـتـحـ عـلـىـ سـؤـالـ عـلـاقـةـ الـوـجـودـ بـالـمـوـجـودـاتـ العـرـضـيـةـ وـالـمـتـعـدـدـةـ. حـاـولـتـ [هـاتـهـ الدـوـائـرـ] بـطـرـقـ شـتـىـ أـنـ تـبـرـزـ قـدـرـةـ الـفـكـرـ عـلـىـ مـعـالـجـةـ هـذـهـ المـسـأـلةـ بـطـرـيقـ مـلـائـمـةـ، وـنـظـرـيـاتـهاـ فـيـ الـمـعـرـفـةـ تـعـدـ ضـمـانـاـ لـتـابـقـ الـفـكـرـ وـحـقـيقـةـ الـوـجـودـ. لـكـونـ حـضـورـ مـفـهـومـ الـوـجـودـ عـيـنهـ يـحـثـ عـلـىـ التـفـكـيرـ، وـالـسـؤـالـ الـذـي فـتـحـهـ هـذـاـ الـمـفـهـومـ يـحـدـدـ لـلـرـوحـ مـجـالـ لـمـعـرـفـةـ أـسـاسـيـةـ وـشـامـلـةـ، وـهـذـاـ المـجـالـ لـهـ مـنـطـقـ فـرـيـدـ حـيـثـمـاـ الـقـوـانـينـ الصـورـيـةـ لـمـنـطـقـ خـاصـيـنـ لـاـ يـمـكـنـهـاـ أـنـ تـعـرـضـ عـلـيـهـ.

في حـيـزـ الـفـكـرـ الـأـنـطـوـلـوـجـيـ نـلـاحـظـ أـرـيـقـةـ تـيـارـاتـ رـئـيـسـةـ، وـالـتـيـ سـنـرـتـبـهاـ وـفـقـ التـسـلـسـلـ الـزـمـنـيـ لـلـتـقـالـيـدـ الـفـلـسـفـيـةـ الـتـي تـبـنـتـهـاـ. تـبـنـعـ الـتـيـارـاتـ الـمـنـحدـرـةـ مـنـ التـركـيـةـ الـأـرـسـطـوـتـوـمـاـوـيـةـ مـنـ الـأـوـسـاطـ الـمـسـيـحـيـةـ وـبـالـخـصـوصـ الـوـسـطـ الـكـاثـولـيـكـيـ. فـهـيـ

الثلاثة] تتسنم بمواجهة الفلسفه الوجودية Søren Kierkegaard العائدة الى كيركفارد والذي يُقابل المعرفه المطلقة بفرديانيه جذرية لمسؤوليه وعرضيه الإنسان، ذلك الموجود التاريخي بصفه أساسية.

إن فينومينولوجيا هوسرب، رغم اعتراافها أن مطلب الفلسفه يقتادها إلى "غايهه ولاهوت فلسفى" بوصفه نهجاً غير ديني نحو الله، فهي مع ذلك تصعُّ فرقانًا بين الله والمطلق استناداً إلى منهج الرد الذي يضع في البداية بين قوسين الطبيعانيه ومعها كل تصوّر عن العالم *Weltanschauung* من أجل إعادة توجيه العقل عبر قابلитеه للإيضاح الذاتي نحو مثالية اللوغوپس الأصلي المطلق. يجدد هوسرب، بهذا الصنيع، المثالية الترسندنتالية ويفحظ لأفق الفكر الفلسفى مسألة الارتباط بين تأمل الحقيقة المطلقة وفكِّ أسطولوجيٍّ يُفضي إلى إقرار إثبات الله.

لقد فتحت فينومينولوجيا هوسرب فضاءً للتساؤل حاول فيه عدة فلاسفه أن يربطوا بين التأمل الترسندنتالي وميتافيزيقا الوجود أو الواحد. بفضل استئناف الأنفلوطينية أو الأنطولوجيا الأرسطو-توماوية أو من خلال تأمل الفعل، أي [استئناف] الديناميكية الداخلية التي تَقُوم على السواء على التأمل والإرادة النهائية. أحياناً يضع هؤلاء الفلسفه

الميتافيزيقيه، فلسفة الفعل بلونديل^(٩). الفينومينولوجيا، هайдغر.

أما مفكرو المطلق الآخرون فيعودون إلى هيجل، الذي وفَّقه العقل والدين يتصلان في الفلسفه بوصفها علماً. من غير ما مقاكيه يمكن أحد الأحداث البارزة والمؤثرة الخاصة باستمرار وتجديد الميتافيزيقا الراهنة في البحوث العديدة في الفلسفه الهيجيلية. وبالخصوص في إعادة رد الاعتبار لـ"فينومينولوجيا الروح". وفي هذه البحوث تتلاقى ثلاث نزعات. أولى تتعلق هذه النزعات بتصور هيجل لله، للروح المطلق. وعليه بذلك الفلاحة بين الأديان وبالخصوص [علاقة] المسيحية بالفلسفه بوصفها نسقاً للمعرفة. وثانياً [في هذه النزعات الثلاث] يأخذ العديد من المفكرين على عاتِّهم توضيح العلاقة بين هيجل وفلسفه كانت التي يرى تجاوزها، وبين فلسفة هайдغر التي تجدد التمييز بين الوجود وال موجودات ويقصد منه "تفويض" الميتافيزيقا بوصفها فكرًا للذاتية المطلقة. والمجان الثالث للبحوث [بين هاتي النزعات

(٩) موريس بلونديل Maurice Blondel (١٨٧٦-١٩٤٩) هو فيلسوف فرنسي. طور فلسفة الفعل عن طريق إدماجه لعناصر برغمانية في سياق الفلسفه المسيحية. وقد تميزت نظرته الدينية بمحاولة التوفيق بين الطابع المتعالي le caractère transcendant للmessiahية وحرية الإنسان واستقلاليته الشرعية légitime autonomie de l'homme. ينظر في هذا:

Claude Troisfontaines dans Maurice Blondel Œuvres complètes, Tome II, 1883-1913 La Philosophie de l'action et la crise moderniste, Texte établi et présenté par Claude Troisfontaines, PUF, Paris, 1997, [Modèle:P.XXXIII](#).

تأثير العلوم الدينية على الفلسفة

توضيغ للوجود والعالم هي الفلسفة دائمة. وهي، من تلقاء ذاتها، لا تُثري مجال الواقع التي تُفكّرها. بل تدخل ضمن إطار التجارب الطبيعية والثقافية التي تؤلف حقيقة الوجود والعالم. ساهمت في الميدان الذي نحن بصدده تأمله، عدّة دراساتٍ غير فلسفية للأديان كثيرة في إثراء مَدى وتنوع التجارب التي على عاتق الفلسفية توضيحها وربطها وفق البنيات الجوهرية ونَقْدُها طبقاً لمتطلبات الحقيقة الكلية. كما تضطلع عدّة مؤلفاتٍ فلسفية بالتحليل وتنسيق وحتى تبرير التجربة والفعل الديني. ببيان أنَّ في الإنسان قبلياً دينياً *a priori religieux* المنهجي للمعنى الديني عوضَ المسائلة الأنطولوجية. يستند بوضوح هؤلاء المفكرون على الشهادات والرموز التاريخية للأديان. وتارةً لا يَقُومون إلا بالاستلهام منها ليفهموا الديني في الإنسان *à la manière religieuse en l'homme* للمنهج التأملي أو الفينومينولوجي.

تجدر الإشارة بادئ الأمر إلى تأثير الدراسات التاريخية على الأديان. على طقوسها ورموزها وأساطيرها. فقد وضحت هذه الدراسات التنوّع الهائل للأديان. فقد حاول بعض الفلسفية

المطلق أو الواحد ما وراء التعارض بين الألوهية ونفي الألوهية. وبذلك فهم يظهرونَ عُشرًا في الجمع بين الإثباتِ الديني لله والفلسفة الترنسندنتالية.

قلة هم الفلاسفة الذين تركوا أثراً حاسماً في فلسفة الله مثل هيدغر وهذا راجع إلى أربعة أسباب. فقد جدد تحليله للوجود (الأنثروبولوجيا الخاصة به)، في المستوى الأكثر سطحية، نقطة الانطلاق للأنطولوجيا بإحلاله محل الفكر النظري للعالم في مينولوجيا للوجود، أي للوجود - في - العالم؛ لهذا السبب، أدخل هيدغر شرطاً ندياً على المقولات التي ذَأبنا أحياً أن نفكّر بها وجود الله (العلة، الذات). لقد أعاد هيدغر للفلسفه، بكلّيه القبليّ الخاص بالمركزية الأنثروبولوجية الحديثة، البُعد المتعلق بفكرة الوجود، وقام، بفضل فكريه عن الاختلاف بين الوجود والموجودات، بفضل مسألة الله عن الأنطولوجيا مع إتاحته البعض الفلسفية إمكانية إحلال الله ضمن الاختلاف المفتوح، ولكن تم هذا من خلال استدعاء حجج أخرى غير الحجج التي تنتهي إلى الفكر الأنطولوجي (مثل تحليل المقدّس). في الأخير استطاع هيدغر أن يعطي للوجود بُعد الكلمة الذي أثرَ غايةَ التأثير على التصورات الدينية والفلسفية عن الكائن الإلهي والرابطة الدينية وهذا باستثناء على الفكر الهيرمينوطيقي.



تفسيرية للقرن التاسع عشر والتي كانت تعرّض تصوّراً تطوريّاً للتطور الدينيّ يميل أكثر إلى أن يكون خطياً. تتمركز هذه التأملات الفلسفية حول بعض المحاور الأساسية: [أولًا تمحور حول] الخطاب الدينيّ (الأسطورة: بجوانبها المختلفة: اللغة الأصلية والموحى بها؛ وقصصها الخيالية المتصلة مع تعيناتها السببية في موضع التقاطع القائم بين الفكر قبل-الفلسفي وما قبل-العلمي): [كما أنها تمحور ثانياً حول] الرمز الدينيّ بوصفه صياغةً للوجود والجسد والعالم في علاقته بالمعتالي: [وتحمّر ثالثاً] المقدّس باعتباره عنصراً ثقافياً حوله في الإنسانية، وفي نظر البعض يعتبر عنصراً أصلياً في كل إنسان. يبدو أن هذه البحوث قدّمت لبعض الفلاسفة المجال الشعريّ الجليل. وهو المجال الوحيد الذي يتّيح طرح الأسئلة الأولى والقصوى للوجود. بمعزل عن الفكر الميتافيزيقيّ الذي يعتبرونه مقطوع الصلة عن تربيته المغذّية.

بواسطة تسيّق مورفولوجيّ (ميرسيا إلياد^(١)). أو بتسلّل تحليل مقولاتيّ مستلهيّ من كانط (رأوتو^(٢)). أو من طريق ردّ فينومينولوجيّ (م. شيلر^(٣)) استأنف الرّد الماهويّ الهوسريّ. أن يفهموا البنيات الكلية والمعنى التّبويّ للمقدّس أو للإلهيّ. كما حاولوا أيضًا فهم العلاقات بين المنطوقات (الأساطير) والسلوكيات الرمزية (الطقوس).

وما حفّرّهم على السّير في هذا الاتجاه، هو التقويضُ الذي أخذته الأبحاث التاريخية الجديدة، بما هي مخطّطات

(١) ميرسيا إلياد (بالرومانية: Mircea Eliade) (٩ مارس ١٩٧ - ٢٢ أبريل ١٩٨٦) مؤرخ أديان وكاتب قصص خيالية وفيلسوف وأستاذ بارز في جامعة شيكاغو: كان مفسّراً رائداً للتجارب الدينية: إذ أسس نماذج في الدراسات الدينية استمرت إلى يومنا هذا. تذهب نظريته إلى أن الظّهوّرات الكشفية المقدّسة تشكّل أساس الدين، وأن التجربة الإنسانية للواقع تنقسم إلى مكان وزمان مقدّسين ومدنسيين. من أهم إسهاماته في الدراسات الدينية نظريته حول «العود الأبدية»، التي تنص على أن الأساطير والطقوس لا تحبي ذكر الظّهوّرات الكشفية المقدّسة فحسب، بل وتشارك فيها فعلياً. على الأقل من وجهة نظر المتدّين: ويعود ميرسيا إلياد أحد المؤسّسين للتاريخ الحديث للأديان، وقد صاغ رؤية مقارنة للأديان.

(٢) رودولف أوتو (Rudolf Otto 1869-1937) لاهوتى، وفيلسوف، ومقارن لأديان ألماني لوثرى. يعتبر أحد أكثر علماء الدين تأثيراً في أوائل القرن العشرين: اشتهر بنشره مفهوم القدسية.

(٣) ماكس شيلر (Max Scheler 1874-1928) فيلسوف عالم اجتماع ألماني. يعد مع نيكولا هارتمن Nicolai Hartmann من رواد الفينومينولوجيا في زمانه. ولقد قررَ فينومينولوجيته بصفة صوفية. مشروع شيلر الأساسي هو تأسيس ميدان جديد سمّاه: الأنثروبولوجيا الفلسفية l'anthropologie philosophique ويسهّامه الأساسي يكمن أيضاً في تطوير علم اجتماع المعرفة Wissensoziologie.

الدينية المنشأة والمطهّرة التي يقدمها كبار المتصوفة. واستندوا، في ممانعتهم للميتافيزيقا لدّواع إيسستيمولوجية أو أنطولوجية، على ما يعتبرونه الشهود الساميين على معنى الوجود والتاريخ، وأفرغوا جهدهم في إدراجه حفاظه هذه التجارب في فلسفة موسعة تستقي مصادرها ليس من تجربة العالم والغير الطبيعية وال المباشرة وإنما من البشر الاستثنائيين أخلاقياً.

تجدر الإشارة أيضاً إلى أنَّ حضور اللهوت المسيحي قد استمر في إلهام الفلسفه المعاصرين، كما كان عليه الحال في الماضي من أوغسطين إلى هيجل. لقد فرَّض التجديد في الدراسات الكتابية والبابوية ضرورة التمييز بين إله الفلسفه الأنطولوجي ذي الأصل اليوناني وإله الإيمان الديني؛ وأدخلت هاته الدراسات، أكثر مما فعل ميداني البحث المذكورين أعلاه، نقداً ملحاً للمماطلة المتعجلة جداً بين المطلق في الأنطولوجيا أو الفينومينولوجيا والله في الدين. وعدة أبحاث أخذت على عاتقها إثبات العلاقات بين هذين النمطين من التفكير. ذهب البعض ل يجعل تفكير الله حكراً على اللهوت وحده مُنذريعين في هذا بـ"موت" الأنطولوجيا-اللهوتية (وهذا من تأثير هيدغر وآخرين) كما بالقرارات الكتابية واللهوت القطعي للذباء اليونانيين. أما

أما بعض الفلسفه، بتطويعهم لفكري فون هوجل^(١٣) وجيمس^(١٤) وبرغسون^(١٥)، فهم بالأحرى يتوجهون إلى التجارب

Friedrich von Hügel (1825-1852) ولد في لندن، وهو فيلسوف، لاهوت ومتفرّكاثوليكي. هو سليل النزعة الحادثية، النهضة الواقعانية للفلسفة في الدراسة اللاهوتية للشعور الديني. وقد اعب دوراً مهماً في تاريخ الكاثوليكية في حقته. كتابه الأكثر شهرة هو "البعد الصوفي للدين" الذي نشره سنة 198 Catherine de Gêne لقد طور فلسفة نقدية، لكنها تنص في كنفها البعـد الصوفي. وقد حارب فكرة تكون التجربة الصوفية عبارة عن شذوذ نفساني anomalie psychologique.

(١٤) ويليام جيمس William James (1842-1910) عالم نفسي وفيلسوف أمريكي، وبعتبر أحد أقطاب المدرسة البراغماتية، قدّم ويليام جيمس وصفاً للتجربة الصوفية في مجموعته الشهيرة من المحاضرات التي نشرت عام 1902 تحت عنوان "تنوع التجربة الدينية" وقدّم الكثير من المعايير لوصف التجربة هي على النحو التالي: (أ): السلبية - الشعور بالغشيان من لدن قوة خارقة لا تخضع لسيطرتك. (ب): عدم القابلية للوصف - لا توجد طريقة مناسبة لاستخدام اللغة البشرية لوصف التجربة. (ج): عقلي - الحقائق العالمية التي لا يمكن الحصول عليها في أي مكان آخر. (د): عابر - التجربة الصوفية ليست سوى تجربة مؤقتة.

(١٥) هنري برغسون (بالفرنسية: Henri Bergson 1859-1941م) فيلسوف فرنسي، حصل على جائزة نوبل للآداب عام 1927م. يعتبر هنري برغسون من أهم الفلسفه الفرنسيين المعاصرين. كان نفوذه واسعاً وعميقاً: فقد أذاع لوّانا من التفكير وأسلوبنا من التعبير ترکا بصماتهما على مجلمل النتاج الفكري في مرحلة الخمسينيات. وقد حاول أن ينقد القيم التي أطاحتها المذهب المادي. ويؤكد إيمانياً لا يتزعزع بالروح. يرى برغسون أن التجربة الصوفية هي التي تقدم لنا الحل الوحيد لمشكلة الله كحل تجريبي. مع العلم أن هذه التجربة لا يمكن لها أن توصلنا إلى اليقين النهائي والخلاص، وبالرغم من ذلك، فيإمكانها أن تقدم لنا حلاً احتمالياً يمكن إضافته إلى الاحتمالات السالفة. فنكون بذلك قد وصلنا على الأقل إلى ما يقرّنا إلى اليقين: فكلما انفتحت التجربة الصوفية على التأويل العقلي كشفنا عن مضمون فلسفيّة عميقه لم يكن يودنا معرفتها، فالتجربة الصوفية (القابلة على الحدس الصوفي) هي السبيل الأوحد لتكلمه تلك النظارات الميتافيزيقية الناقصة لأن الميتافيزيقا لا يمكن لها أن تكتمل إلا بفضل التجمع المطرد للنتائج المحصلة، بعدما كانت مذهبنا منغلقاً على نفسه.

والتحكمُ هذه قد ساقته إلى الإمساك بحضور المقدّس في المجالات الواسعة للوجود، وتنحية الدين بوصفه مبدأً فَهِم فيما يتعلّق بأمورِ العالم، وحتى إلى انتقاد كل خطابٍ أو كل مَوْقِفٍ يحيطُ إلى ما وراء العالم: باعتباره خطاباً وهمياً. لقد منحتَ العلمنة من حينها لفلسفة الدين مُهماتٍ جديدةٍ شغلتَ بالعديد من المفكرين المعاصرين: إما [أنَّ المهمة تمثلت في] تأويلِ الظواهرِ الدينية بطريقةٍ سلبيةٍ بالاستناد إلى النتائج النقدية لعلوم الإنسان، وإما [أنَّ المهمة تمثلت في] إعادة التفكير في الدين من طريق مواجهةٍ نقديّةٍ مع هذه الفلسفات النافذة. وعلى كل حالٍ، لقد ألقى الإنسان نفسهُ بفضلِ العلمنة التي تتماشَى جَيْناً إلى جَنْبِ مركزيةِ أنشروبولوجية موضوعاتية في قَلْبِ هذه البحوث، وفكرةُ التعالي أصبحت تمرُّ من خلالِ الأنثروبولوجيا الفلسفية، مهما كانَ العلمُ الإنسانيُّ الذي تستندُ عليه.

لقد برهنتِ العلومُ الاجتماعيةَ -من خلالِ توضيجهَا للعلاقاتِ بين المجتمعِ والدين في الثقافاتِ القديمةِ وفي العالمِ المعاصرِ- على مدى تعلمِنِ العالمَ à point le monde s'est sécularisé مَضَى كَانِتِ الأديانُ تسمحُ للثقافةِ أنْ تُشَيَّدَ بإدماجِ مُعطياتِ العالمِ والمجتمعِ

البعضُ الآخرُ فسغَ إلى إدراجِ تفكيرِ اللهِ ضمنَ فَهِمٍ فلسفِيٍّ مُسبِّقٍ للهِ، مليءٌ بالثغراتِ لكنه مع ذلك وضعيٌّ، أما البعضُ، فهو ثوقيٍ في إمكاناتِ الروحِ، أبقى على إثباتِ واقعيٍ للهِ، ذلكَ الموجودُ الضروريُّ والمطلُقُ، وغايةُ الفكرِ الفلسفِيٍّ ومتنهَا.

فلسفةُ الدينِ في مدرسة علومِ الإنسانِ

تعُدُّ الفلسفةُ المعاصرةُ إلى حدٍ بعيدٍ حواراً مع العلومِ حديثةِ النشأة: تلكِ العلومُ التي تَذَرُّسُ الإنسانَ من خلالِ واقعِه الاجتماعيِّ والتاريخيِّ، النفسيِّ واللغويِّ. ليسَ في مقدورِ فلسفةِ الدينِ أنْ تتملّصَ من التساؤلِ الذي أقامَهُ هذه العلومُ إزاء طريقةِ وجودِ الإنسانِ و قولهِ وفهمِه: لكونها دراسةً للإنسانِ العينيِّ في علاقتهِ مع ما يعتبرُه مبدأً ومعناه القصوبيين. وليسَ من الصدفةِ أنَّ مجيءَ هذه العلومِ قد تزامنَ مع ما تعوّدنا اليومَ أن نطلقَ عليهِ علمنةَ العالمِ بلةَ الوجودِ ذاتَهُ. فعلًا يسقِي الإنسانُ الحديثُ بالإرادةِ تَقْسِيَّها إلى أنْ يصير حاكماً -بطريقةٍ تقنيَّةً- على الطبيعةِ والمجتمعِ وعلى الحسِدِ وروجهِ، وأنْ يُفرغَ جهَدَهُ في محاولةِ استكشافِ قوانينِ عملها بطريقَةٍ علميَّةً. إرادةُ المعرفةِ

فيورباخ^(١) وماركس أو تسعى جاهدةً لتجاوزها
آخذةً بعين الاعتبار هذا الفكر الذي دشن التبرير
الفلسفي لللاحاد.

قد دفع علم النفس - ولاسيما التحليل النفسي - نقد الدين أبعد من ذلك، وهذا بواسطة فحص الحوافر التي أمكنها قيادة الإنسان إلى الدين. فالتأويل الذي تقدمه مدرسة التحليل النفسي للدين ليس في ذاته فلسفياً بتاتاً. ولكن التحليل النفسي ترك للفيلسوف الذي يتتسائل عن الدين مهمة استئناف مسألتين جوهريتين على نحو لم يسبق إليه من قبل. أولى المسألة التي تخص الرغبة، والتي عُدّت مذ أفلاطون محوّراً أساسياً في الفلسفة. لقد برهنَ التحليل النفسي - حقيقةً على الوظائف التي

(٦) لودفيغ فوئرباخ (1804- 1872) هو فيلسوف أثريولوجياً ألماني مشهور بكتابه Das Wesen des Christenthums "جوهر المسيحية". والذي قام بنقد المسيحية. وكان مؤثراً للغاية في أجيال من المفكرين اللاحقين، بما فيهم كارل ماركس. وفريديريك أنجلز وريتشارد فاغنر وفريديريك نيتше. دعا فوئرباخ إلى الليبرالية واللحاد والمادية. قدّمت العديد من كتاباته الفلسفية تحليلاً نقداً للدين. كان فكره مؤثراً في تطور المادية التاريخية. وبعد حلقة وصل بين هيجل وماركس.

في العقل الواحد، الكلي و اللامتناهي
De ratione una, الكلي و اللامتناهي
universalis, Erlangen, 1828

أفكار حول الموت والخلود — Gedanken über Tod und ewigkeit

Unsterblichkeit , Nuremberg, J. A. Stein, 1830
لِيْلَهُ الْمُكْرَمَةِ الْمُبَشِّرَةِ بِالْمُؤْمِنِينَ

تاريخ الفلسفة الجديدة من بэкон إلى سبيرو

Geschichte der neuern Philosophie von Bacon von

Verulam bis Benedict Spinoza, Ansbach, C. Brügel,
1655

1833

Zur Kritik der Hegelschen philosophie, 1839

Das Wesen der Religion, Leipzig, Otto جوهر الدين —
Wien, 1845

Wigand, 1845

في رؤية شاملة ومؤسسة ضمن المقدّس، وعليه فقد أعطت نظاماً للزمان والمكان وتمكنت من التغلب على الفوضى المهدّدة. وأرست المؤسسات الثقافية (العائلية، القبيلة، المدينة) بهذا شرعيتها الضرورية على النظام الإلهي، بينما اليوم أصبحت المبادئ الإنسانية الممحضة هي ما يعطي للمؤسسات شرعيتها؛ ولم يعد الدين على نحو مباشرٍ عملياً [مُفيداً ومُلائماً] في الميادين السياسية والعلمية، ولا حتى في ميدان الأخلاق الاجتماعية.

هذه الملاحظات المسؤولة علمياً ترجمُ الفلسفاتِ على التساؤل عن البواعثِ المتغيرة للدين وعن العلاقات بين الأخلاق والدين. كما أنها نشهد فلسفة الدين تأخذ صبغةً جذريةً في تأملها للمسلمات الدينية للأخلاق أو في بحثها عن معنى الوجود الذي نلقي فيه بطريقةٍ أكثر نقديةً إدراكاً مميّزاً للحوافز الوظيفية للموقف الديني المتوجه صوب وجود متعالٍ، والذي يتتجذر في حرية الإنسان غير القابلة للاستتاب.

كما حاول فلاسفة آخرون -على إثر مؤجة الفكر الماركسي- أن يفهموا الدين بوصفه وفهماً واغتراباً، وهذا بتوصيل تأمل جدلٍّ في الوسائل القديمة التي أقامها الإنسان مع الطبيعة والمجتمع. تستأنف وتنسق عدّة مؤلفاتٍ فلسفيةٍ في ميدان الدين انتقاداتٍ

والسقوط بوصفه أمارةً على الذنب، والجنة بوصفها رمزاً للبراءة.

علوم اللغة هي التي أثرت بعمق كبير في الفلسفية المعاصرة للدين. فقد جددت كلية المسألة الإبستيمولوجية للتقريرات الدينية. فسابقاً أكدَ توما الإكويني على أنَّ الإنسان لا يمكنه أن يعرف الله كما هو في ذاته، ولكنَّ الإنسان بفضل الطابع التماثلي للمفاهيم يمتلك القدرة السيمونطيقية للدلالة على الله. عديداً من الفلاسفة المنتسبين إلى التقليد التوماوي قد قاموا بتعزيز النمط التماثلي لمفاهيمنا، خصوصاً مفهوم الوجود. فتأملنا بهما "أسماء الله" (الصفات التي يمكننا بها وصف الله بالعقل) قد نأى دائماً عن المتماثلة الميتافيزيقية التي اعتقادُ أنها تستطيع التعبير عن جوهر الله ذاته. يُعتبر فكر المماثلة جهداً يستهدف المتعالي عبر المفاهيم البشرية، ويميز بين التجسيم والمفهوم الميتافيزيقي الحق.

عدة مدارس ترى أنَّ كل لغة [تعبر] عن الله مفترقة إلى الدلالة والمغزى. وهذا عائد إلى القوانين اللسانية أو المنطقية التي تُقدِّمَ القول البشري. لقد ساهم نقدُهم للخطاب الديني بقوة في التيار الحديث النسائي للفكر الديني. [ذلك الخطاب] الذي تميَّز بالتجسد في "lahوت موت الله" théologie de la mort dieu. لقد سُجِّب

يمكنُ أن يحوزها المطلق والقدرة المطلقة والمعرفة في تدبير الرغبات. ولعدم كون التحليل النفسي - بسبب طابعه العقلي - من مستوى ميتافيزيقيٍ فإنه أراد - عبر رعيمه المؤسس - أن يُحلَّ ما حول علم النفس^(٧) محلَّ الميتافيزيقاً وأنْ يقدم تأويلاً رَدِّياً لكل المفاهيم التي تُولِّفُ فلسفة المطلق. كما أنَّ هناك عدة فلسفاتٍ ممن لم يرضِهم تجاوُر ذينك النمطين من الفهم. فسعوا أنْ يتجاوزُوا من الداخل ما حول علم النفس الذي طمحَ منذ البداية أن ينفرد بالأمر. فمواجهتهم للتحليل النفسي قد حدا بهم أن يأخذُوا رغباتَ الإنسان نقطةً انتلاقٍ عوضَ الكوجيظو المكتفي بذاته. وأن يُخضعوا لنقدٍ جذريٍّ. والبناء أحياناً، مفاهيم القدرة-المطلقة toute-puissance [القدير] والتطلق التي تعدُّ محاواز للفكر الديني. في المقام الثاني: يضطرُ التحليل النفسي الفلسفية إلى أن يعيُدوا النظرَ في الرموز الكباري والأساطير التي تحملُ في كنفها المواقف الدينية من قبيل: اسم الآب، العلاقة بين السيد والعبد.

(٧) ما حول علم النفس métapsychologie هو مجموع الفرضيات والمبادئ والتصورات الأساسية للتحليل النفسي كما وضعها سيغموند فرويد. وبالتالي فإنه يشير إلى بنية نظرية التحليل النفسي في حد ذاتها وليس إلى الكيان الذي تصفه. موضوع علم النفس هو النفس. وموضوع ما حول علم النفس هو علم النفس. يُستخدم هذا المصطلح غالباً في الخطاب المتعلق بالتحليل النفسي. أي علم النفس الذي وضعه سيغموند فرويد والذي كان يعتبر حينها فرعاً من الفروع العلمية وقد تم إعادة إحياء الاهتمام بالمكانة العلمية المحمولة للتحليل النفسي تزامناً مع بروز اختصاص التحليل العصبي.

يعدُّ يُنظرُ إلى اللغة على أنها تعبرُ عن فكرٍ مُشكّلٍ *pensée constituée*. بل تم الإقرارُ بأنَّ الفكرَ يتشكّلُ في ومنْ طريقةِ اللغةِ ذاتها.

لقد أبانتِ الفينومينولوجيا والفلسفة الوجودية -من جهةٍ أخرى- أنَّ اللغة هي الحيز عيّنة للتعالق بين الذوات، وأنَّ فيها تجلّى كينونةُ الأشياء. ولُنُصِّف إلى هذا أنَّ التحليل النفسي يتحرّك كليّةً في اللغة والكلام، كما لو أنَّه في وسطِهِ الخاص. وعلى اللاهوتِ الكتابي أنْ يتلّاقَ وهذه الفلسفاتِ ليكونَ اللهُ الحيُّ كلامُه في نظرِه.

إذا كانتِ العلمنةُ والانتقاداتُ التي صاغتها الماركسيةُ ومدرسةُ التحليل النفسي واللسانيات قد أفرغتُ وسّعها في تحريرِ الفكرِ الدينيِّ من أوهامِه، فإنَّ كثيراً من الفلاسفةَ بَقُوا مقتنعينَ أنَّ النزعةَ الإنسانيةَ من دونِ وشيعةٍ تربطُ الفكرَ والحياةَ باللهِ الأسمى لئنْ تجذَّ ما يوَسِّسُها. بل سينتهي بها الأمرُ إلى القضاءِ على نفسها إذا دفعتَ بعدميتها الإلحادية إلى نتائجها القصوى. ولنذكرُ فقط بالمفكريَنَ أمثالَ أ. هوكسلي^(١٨).

(١٨) ألدوس ليونارد هوكسلي Aldous Leonard Huxley (1894-1963) هو كاتب إنجليزي اشتهر بكتابه الروايات والقصص القصيرة وسيناريوهات الأفلام. قضى حياته منذ ١٩٣٧ في مدينة لوس أنجلوس. له اهتمامات بالباراسيكولوجيا والتوصوف الفلسفية. معاد للحروب ومحتم بالقضايا الإنسانية. في آخر أيام حياته اعتبر في بعض الدوائر الأكاديمية، قائدًا للفكر الإنساني الحديث ومثقفاً بارعاً. له تأثير على عدة قاماتٍ فكرية. أشهرهم جورج أوريل.

مفكروُ موتِ اللهِ بوقوفهم في الغالب إلى جانبِ الدراساتِ السوسiologicalية والتحليل النفسيِّ ومع استلهامِهم من الدراساتِ الكتابية. إما العبادةُ أو غرورِ الفلسفة الدينية. وهم يُحلّونَ تأويلاً أفقياً للرسالةِ المسيحيةِ -أي تأويلاً أخلاقياً لها-. محلَّ الخطابِ (اللاهوتيِّ) عن اللهِ على الرغمِ من أنَّ موافقةِهم تختلفُ كثيراً فيما يخصُ الاحتفاظِ والاستمرارِ في الإحالَةِ على الإلهِ يسوعَ-المسيحِ.

كثيرةٌ هي الدراساتُ التي تفحّصُ خُصوصيَّةِ اللغةِ الدينيةِ وجنسها اللسانِيُّ الذي تفردُ به. يتموضعُ بعضاً منها داخلِ امتدادِ واستمرارِ فكرِ فتجنستاين الذي حبسَ المرجعيةَ "الصوفيةَ" شرطاً للتفكيرِ في العالمِ. بينما استمسك بعضاً منها الآخرُ بتحليلِ البنياتِ اللسانيةِ للغةِ الدينيةِ بوصفها لغةً ذاتيةً-الاستلزم، إنجازيةً واعتباريةً. كما سعى بعضاً منها أيضاً إلى إرساءِ مذَى القيمةِ الميتافيزيقيةِ للغةِ الإنسانيةِ. وإلى الاجتهادِ من أجلِ إقامَةِ فلسفةِ الكمالِ وأسماءِ اللهِ [على سبيلِ المعاضدةِ والإثباتِ] على دراسةِ دقيقَةِ اللغةِ.

على كلِّ حالٍ، تُعتبرُ هذه البحوثُ عن اللغةِ بمقاصدهَا وقدرتها السيمونطيفيةِ في المستقبلِ القريبِ. جوهَرَ الجهودِ المبذولةِ في فلسفةِ الدينِ. في الواقعِ لم

غ. مارسال^(٢١) وك. ياسبرس^(٢٢)، وأ. توينبي، الذين تركّزت أفكارهم حول الأوضاع والتجارب التي تُتيح للإنسان حضور كائنٍ أقصى أو جامِعٍ، ولو إن لم يكن في استطاعته أنْ يُسميه الله، فهو مع ذلك من مصافِ مُطلقِ الْوَهْيِ.

ب. تيليش^(٢٣). . نيبور^(٢٤).

(١٩) بول يوهانس تيليش Paul Johannes Tillich هو فيلسوف وجودي مسيحي ولاهوتي أمريكي ولد في يوم ٢٠ أغسطس ١٨٦٧ في قرية ستارزيدل (بولندا حالياً) في مقاطعة براندنبورغ Brandenburg في الإمبراطورية الألمانية، هو أحد أشهر اللاهوتيين في القرن العشرين، اركَّزَت فلسفتة على إعادة فهم المسيحية على الأساس الوجودي وإعادة كتابة تاريخ اللهوت العقائدي والفكر الديني. يعتبر كتابه Systematic Theology (١٩٥١ - ١٩٦٣) ذو المجلدات الثلاثة أشهر أعماله وقد طور فيه «طريقة الارتباط»، وهو نهج لاستكشاف رموز الْوَهْيِ المسيحي باعتباره إجابة عن قضايا الوجود الإنساني التي أثارتها تحابيل الفلسفه الوجودية المعاصرة. أثر تيليش على العديد من المفكرين: منهم بول ريكور Paul Ricoeur ورونيه جيرار René Girard. كما أثر أيضاً على فكر آرنسن Blöch.

(٢٠) كارل بول رينهولد نيبور Karl Paul Reinhold Niebuhr (١٨٩٢ - ١٩٧١) هو مصلحٌ لهوٌيٌّ وخيرٌ في علم الأخلاق وتفكيرٌ في مسائل السياسة والشؤون العامة وبروفيسور في محمد يونيون اللاهوتي لثلاثين عاماً. كان نيبور أحد المؤثرين القياديين في أمريكا العدة عقود من القرن العشرين ونال وسام الحرية الرئاسي عام ١٩٦٤. بصفته لهوٌياً بارزاً، كتب وتحدث غالباً عن التداخل بين الدين والسياسة والشأن العام، وعنوان كتابه الأكثر تأثيراً هماً «الرجل الأخلاقي والممجتمع غير الأخلاقي»، «طبيعة وقدر الإنسان». يعتبر الكتاب الأخير في المرتبة الثامنة عشر بين أكثر من كتاب غير أديني في القرن العشرين من قبل المكتبة الحديثة. ويصف أيضاً أندو باسيفيتش كتاب نيبور «سخريّة التاريخ الأمريكي» بأنه أفضل كتاب تكتب عن السياسة الخارجية الأمريكية. كما يصف المؤرخ أرثر شيلزليونغ الباين نيبور بأنه أكثر عالم لهوٌياً في القرن العشرين. واعتبرته مجلة التايم بعد موته أعملاً لفهم لهوٌيٌّ بروستانتي في أمريكا منذ جواثان لوثر.

انتهى تفكيره خلال ثلاثينيات القرن العشرين إلى علم اللاهوت الواقعي الذي أرثه المنظور الفلسفى المعروف باسم الواقعية المسيحية. هاجم الطوباوية باعتبارها غير فعالة للتعامل مع الواقع، تعمقت واقعية نيبور بعد عام ١٩٤٥ وقادته لدعم العهد الأمريكي لمواجهة الشيوعية السوفيتية في جميع أنحاء العالم. بصفته منحدراً قوياً، كان أحد أكثر المفكرين تأثيراً في أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي في الشؤون العامة. اشتغل نيبور مع الليبراليين الدينيين واعتبر وجهات نظرهم حول تناقضات الطبيعة الإنسانية وحول تفاؤل الإنجليل الشتاري ساذجة، وانتبه إلى المحافظين الدينيين واعتبر نظرتهم للكتاب المقدس وتعريفهم الفيقي للدين الحقيقي رؤيةً فقيرةً إلى الحمق والذكاء.

تمكن مساهمات نيبور في الفلسفه السياسية في استخدام مصادر اللاهوت للدفاع عن الواقعية السياسية. أثر عمله بشكل كبير على نظرية العلاقات الدولية. ما دفع العديد من العلماء إلى الابتعاد عن المثلية واعتنق الواقعية. وأشار عدد كبير من العلماء، بينهم كبار العلماء السياسيون والمؤرخون السياسيون وعلماء اللاهوت، إلى تأثيره على تفكيرهم، بالإضافة للأكاديميين. أشار نشطاء مثل مايلز هورتون ومارتن لوثر كينغ جونيور والعديد من السياسيين من بينهم هيلاري كلينتون وهوبير همفري ودين أنسليون وجيمس كومي ومادلين أولبرايت وجون ماكين، إضافة إلى الرؤساء الأمريكيين السابقين باراك أوباما وجي米 كارتر، تأثيره على تفكيرهم. شهدت السنوات الأخيرة اهتماماً متقدماً بعمل نيبور ويعزى ذلك جزئياً إلى إعجاب أوباما بالمعلم نيبور. في عام ٢٠١٧، أصدرت بي إس فيلمًا وثائقياً عن نيبور وعنوان «الضمير الأمريكي: قصة رينهولد نيبور».

من أعماله:

تأويل للأخلاق المسيحية

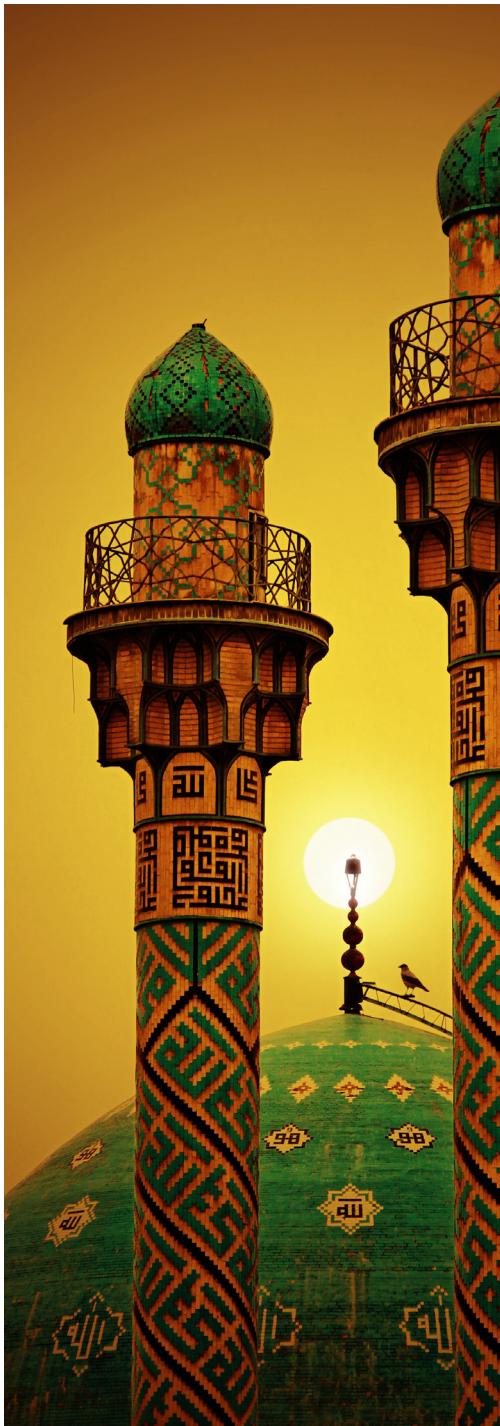
طبيعة الإنسان وقدره: تأويل مسيحيٌ٤٤،
الواقعية المسيحية والمشكلات السياسية٤٥.

(٢١) غبريار أونوري مارسال Gabriel Honoré Marcel (1889- 1973). فيلسوف فرنسي شهير، وزعيم الوجودية المسيحية. تمحورت أعمال مارسال حول نضال الفرد في المجتمع من الناحية الإنسانية، وعلى الرغم من أنه يعتبر في كثير من الأحيان الفيلسوف الوجودي الأول في فرنسا، إلا أنه اتفصل عن شخصيات مثل جان بول سارتر، ولذلك يؤثر مصطلح «فلسفة الوجود» أو «السقراطية الجديدة» لتحديد فكره. كان مارسال بقصد اعداد أطروحة حول مشكلة المعرفة الدينية intelligibilité religieuse. والتي لم يكملها. إلا أن ملاحظاته وتحليلاته حول المسالة قد أثرت بشكل كبير على مؤلفه الأساسي، أي الجريدة الميتافيزيقية le Journal de la métaphysique، وتميز أعمال غبريار مارسال بطابع ديني واضح، وهي تفضي باعترافها إلى وجاهة دينية على الرغم من أنه لم يتطرق أي تربية دينية رسمية. دع عنك أنه لم يشعر بأي ميل ديني قوي. وقد يدق حذراً حيال كل المساعي التي تناول أن ثبت وجود الله يتوصل براهين معينة. إذ يراها تستبعد الخبرات العميقية التي يكون موضوع خبرتها الله، وهذا تغيير السجالات الفعلانية حول الله فاصلة بينما تقترب خبرة الله على أفق ومعانٍ أعمق للتجربة الدينية. ويرى مارسال أن الخبرات التي يصفها في أعماله من قبل الأهل والمسؤولية والخلاص، وغير ذلك من التجارب البينية تتبع عن التحليلات العقلانية. يقول كليد باكس Pax أحد كبار المتخصصين في فكر غبريار مارسال إن الفرد لا يتفكك عن النساء والابتهاج إلى قوة قصوى تسمى له أن يقوم بنذر يدرك أنه لا يستطيع أن يفي به وحده، والتزامه حيال أنت مطلق Tu absolu. يجعل من التزامه هذا ومعقوليته اللامشروطه أمراً ممكناً داخل هذه العلاقة الأنماوذجية. يعلمنا تصوره عن العلاقة بين الإنسان والآنت المطلق أن نستجيب لنداء التعالي فيما وراء هيمنة العلم والتكنولوجيا في الثقافة المعاصرة.

هذه قائمة بعض أعماله المهمة:

- Le Mystère de l'être. Paris, Aubier, 1951. لغز الكينونة ٢ volumes
- Théâtre et religion. Lyon, Éditions E. Vitte, 1958. المسرح والدين.
- Présence et immortalité. Paris, Flammarion, 1959. الحضور والخلود الأبدى.
- La Dignité humaine et ses assises existentielles. Paris, Aubier, 1964. الكراامة البشرية وعواملها الوجودية.
- Le Mystère de l'être. Paris, Aubier, 1951. لغز الكينونة ٢ volumes
- Théâtre et religion. Lyon, Éditions E. Vitte, 1958. المسرح والدين.
- Présence et immortalité. Paris, Flammarion, 1959. الحضور والخلود الأبدى.
- La Dignité humaine et ses assises existentielles. Paris, Aubier, 1964. الكراامة البشرية وعواملها الوجودية.

(٢٢) كارل ياسبرس Karl Jaspers (1883- 1969) طبيب نفسي وpsychiatre وفيلسوف ألماني-سوسيي وأحد ممثلي الفلسفة الوجودية، أعماله لها تأثير كبير على اللاهوت، و الطب النفسي psychiatrie و الفلسفة.



يُعارضُ هذا الصِّنفَ من الفلسفةِ صِنْفٌ آخرٌ مُقتنِعٌ أنَّ كُلَّ اعتقادٍ دينيٍّ يجعلُ الإنسانَ مُغترِبًا عن بناءِ إنسانيتِه الأرضيةِ، أو على الأقلِ إِنَّه يأسِرُه في وَقْفِ المَفْكُورِ الراديكاليِّ لِلتَّنَاهِيَةِ [في نظرِ هذا الصِّنفِ] فَقْطَ التقريرُ الراديكاليُّ لِلتَّنَاهِيَةِ سيَحِدُّوا به للانخراطِ بِجَديَّةٍ في المغامرةِ الإنسانيةِ. وَعَلَيْهِ فَمَوْتُ اللهِ يُصِبِّحُ شرطًا للنزعةِ الإنسانيةِ الحَقِيقَةِ، سُوَاءً تَأَسَّسَتْ عَلَى الحريةِ أو عَلَى الْعَلَاقَةِ الجَدِيلَةِ بَيْنَ الإِنْسَانِ والطَّبِيعَةِ، أو عَلَى العَقْلِ الْمَالِكِ لِلزَّمامِ أَمْرِهِ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلمُفْكِرِينَ الْمُذَكُورِينَ أَعْلَاهُ فَالْأَمْرُ عَلَى الْغَكَبِينَ تَمَامًا فَمَوْتُ اللهِ سَيَنْجُرُ عَنْهُ مَوْتُ الإِنْسَانِ.

تُسَاهِمُ كُلُّ التَّيَارَاتِ الْفَلَسُوفِيَّةِ وَكُلُّ الْعِلْمَوْمِ فِي تَسْوِيغِ هَذَا الْمَوْقِفِ الإِنْسَانِيِّ أَوْ ذَاكَ، وَقَلَّمَا نَجَدُ مُفْكِرِينَ لَمْ يَرِبُّطُوا مَفَاهِيمَهُمُ الإِنْسَانِيَّةَ بِقَناعَاتِ الدِّينِ أَوْ بِالْمَوْقِفِ الَّذِي يُصْرَحُ بِالإِلْحَادِ، فَإِذَا كَانَتِ الْفَلَسُوفَةُ الْمُعاصرَةُ تَقْدِمُ الْاِقْتِضَاءَتِ الْأَخْلَاقِيَّةَ نَفْسَهَا، وَالْمَدْوَنَةُ فِي الإِعْلَانِ الْعَالَمِيِّ لِحَقْوقِ الإِنْسَانِ، فَإِنَّ تَصُورَاتِهَا الْقُضَوَى عَنِ النَّزَعَةِ الإِنْسَانِيَّةِ تَشَظِّي إِلَى نَزَعَاتٍ تَصَارُعُ فِيهَا بَيْنَهَا، لِكَوْنِ قَناعَاتِهِمُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالتَّحرِيرِ النَّهَائِيِّ لِلِّإِنْسَانِ لَا تَتوَافَقُ فِيمَا بَيْنَهَا حَتَّى إِنَّهَا أَحيَانًا تَتَعَارَضُ فِي إِرَادَةِ تَأْسِيَسِ إِنْسَانِيَّةِ الإِنْسَانِ.